بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان
العدد ١ (خريف وشتاء ١٤٣٠-١٤٣١ هـ. ق/ ١٣٨٨ هـ. ش)، ص ١٢١ - ١٢٩

زندقة بشار بن برد بين السياسة والواقع[١]

سيدمحمدجواد موسوي بَفرويي*

الملخص

إن كثيرًا من الوقائع التاريخية المنقولة يحتاج تصديقها إلى تفكر وتعمق أكثر، وذلك بالاستفادة من العقل والنقل كليهما، ولاسيما الأحداث التي ترتبط بالشخصيات المرموقة في الأدب والسياسة، ومنها الأخبار التي نقلت عن بشار بن برد، لأنه كان من الشعراء الذين قتلوا باتهام الزندقة، والحقيقة ليس كذلك لأسباب، منها:

١. كونه من الشعراء الهجّائين، ولهذا حقد الخلفاء وكبار الدولة عليه.

٢. أشعاره التوحيدية تدلّ على أنه كان موحداً، وإن كانت أشعار طابعها الإلحاد والكفر، فهي منسوبة إليه.

٣. إن الإعدام كان من عقوبة الزنديق، ولكن بشاراً لم يعدم في بداية الامر، بل ضرب سبعين ضربة فمات.

٤. له أشعار تدلّ على استغفاره من الذنوب الماضية. إن كان له ذنب كما زعموا. والتائب حسب الشرع لا ذنب له.

٥. في اعتراف المهدي بندامته بعد قتل الشاعر دلالة واضحة على أنه لم يكن ملحداً أو زنديقاً، بل يمكن أن نقول إن قتله كان بسبب حقد الخلفاء وكبار الدولة عليه بسبب هجوياته، فقتله ليس بسبب الزندقة والالحاد. كما زُعِم. وما كتُب في كثير من الكتب ليس صحيحًا.

المفردات الرئيسية: بشار بن برد، الإلحاد، الزندقة، العباسيون، السياسة، الأدب

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المقدمة

من الظواهر المهمة التي ظهرت في العصر العباسي الأول اتهام كثير من الأدباء والشعراء بالزندقة، وقد استغلّت الزندقة في أغراض سياسية؛ لأن الأدب كان أقوى جهاز في الدعاية. وفهم الحوادث التاريخية والثقافية أمر مهم يحتاج إلى ممارسة كثيرة، ومطالعة كتب متعددة للوصول إلى الحقيقة ومحو المزالق والمغالط من الأخبار التاريخية والثقافية؛ لأن الاعتماد على النقل المجرد في الروايات الكثيرة التي نقلها المؤرخون ورواة الحوادث، يمكن أن يحرّف الباحث ويسوقه إلى المزلّات؛ لهذا نجد كثيراً من العثرات في

---

١. تاريخ التسلم: ١٣٨٦/٥/٧ هـ. ش (٢٠٠٧/٧/٢٩م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٦/٩/١٣ هـ. ش (٢٠٠٧/١٢/٤م).

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان

الحكايات التي تكذب بعضها بعضاً للاعتماد فيها على مجرد النقل، ولاسيما الحكايات التي ترتبط برجال السياسة أو الثقافة، وهذا الخلاف يوجد بسبب طول الزمن وتعصب الرواة والمورخين.

وإن كانت هناك رغبة للباحث الذي يريد متابعة الحوادث والوقائع التاريخية، فلابدّ له أن يتّكل على أكثر من نقل واحد، وعلى تحليل هذه الوقائع باستمرار، بمساعدة العقل إضافة إلى النقل، لكي يهتدي إلى كشف العوامل فيها وكيفية وقوعها، وعلى كل طالب أن يراجع عقله أيضًا في تصديق الروايات المختلف نقلها ليتمكن من استنباط صحيح.

هذه المقالة تحاول أن تثبت أن قتل بشار بن برد ـ وهو من أكثر الوقائع التاريخية المشكوك فيها ـ لم يكن بسبب الزندقة. وتهتمّ المقالة بتبرئته من هذا الاتهام معتمداً على تاريخ الزندقة وبأشعار الشاعر نفسه، واعترافات غيره التي تدلّ على براءته، وتقوم بتحليل هذه المعطيات وتفسيرها.

بشار والزندقة

من هذه الحوادث التي نجد في الكتب التاريخية والأدبية، اتهام بشار بن برد، شاعر العهد العباسي، بالزندقة وقتله بسبب هذا الاتهام. ونحن في هذا الصدد نريد أن نبحث هذا الموضوع الذي يؤكده كثير من الكتب بمساعدة النقل والعقل، حتى يثبت أنه لم يكن زنديقاً، وأن قتله لم يكن بسبب زندقته في الواقع، بل كان لأسباب أخرى؛ ولهذا نكتب عن حياته الأدبية والسياسية، وتاريخ الزندقة حتى نستنبط عوامل قتله في ذاك العصر بصورة صحيحة.

حياته

ولد بشار في البصرة أكمه سنة «٩١هـ» في الأغلب، وأصله من طخارستان في أقصى خراسان، ونشأ بين الأعراب البدويين الفصاح وهو فقير. فراح يكتب في فيافي الحياة محروماً من وسائل الكفاح، ويستعيض عن بصر العين بنور ذكائه.

وفي العصر الأموي لم ينل حظوة لأنه كان من الموالي، ولم يبلغ مبلغ الشعراء الرسميين في ذاك العصر، ولكن لَمّا جاء العصر العباسي، نال شعره حظوة في زمن البرامكة الذين كانوا متنفذين في الدواوين الحكومية (فروخ، ١٩٨٥م، ص ٩٣).

شعوبيته

المعاملة السيئة للموالي في العصر الأموي ساعدت كثيراً على انتصار العباسيين وسقوط الدولة الأموية. وبذلك نفذ الفرس في الدواوين الحكومية، واستطاعوا أن يسيطروا على مقاليد الحكم بصورة واضحة. هذا الحدث الخطير أعطى الفرس مكانة رفيعة كانت سبباً في بروز نزعة الشعوبية، وهي نزعة كانت تقوم على مفاخرات الفرس بحضارتهم وثقافتهم وما إلى ذلك، على العرب وصفاتهم الجاهلية من الخشونة والجهالة وعدم عرق حضارتهم. وبما أن وزراء العباسيين كانوا من الفرس ويحبون الثقافة الإيرانية كثيراً، يشجّعون الذين يخطون خطوات بنّاءة واسعة في هذا المجال.

ومع أن الحركة الشعوبية كانت على أساس التعصب، لكنها على الأقل تدافع أيضاً عن الأصول الإسلامية، وتؤمن بالعقيدة الإسلامية وتدافع عنها (مطهري، د. ت، ص ٧١).

ونجد في هذه الحركة بشار بن برد الشاعر المتطرّف الذي أوقد نيران الخصومة مع العرب، وافتخر بفارسيته كثيراً في أشعاره (ضيف، ١٩٩٦، ص ٢١٥ و ٢١٦). وقد كان انتصار العباسيين بمساعدة الفرس عاملاً قوياً لتشجيعه على الثقة بالنفس والشعور بعظمة الفرس. ولبشار طريقة خاصة بارزة في الهجاء لم تكن حتى ذاك الزمن، وصار مشهوراً بشاعر الشعوبية (فروخ، ١٩٨٥، ص ٩٣)، وكان يطعن على الخلفاء وكبار الدولة، ويهجوهم دون حذر أو تحفظ، فلذلك لم يكن هناك شك في أن خصومته الواضحة معهم كانت سبباً لحقدهم عليه خفاءًا حتى بلغ من سوء نيتهم تجاهه أن حاولوا تقبيحه في المجالس المتعددة التي كان يرتادها.

نشأته

لقد نشأ بشار بن برد في مهد عربي، فأتقن العربية وتمثل سليقتها بكل مقوماتها، ولهذا كان يذهب إلى محافل المتكلمين وجمعياتهم يستمع إلى محاوراتهم ومناظراتهم لأصحاب الملل والنحل. قال الجاحظ عنه: «كان شاعرًا راجزاً وسجّاعاً خطيباً وصاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة، وهو أطبع المطبوعين من الشعراء المولدين» (الجاحظ، د. ت، ص ٥١).

ابتكاراته في الأدب العربي

١. إنه بسبب ذكائه ومهارته الجيدة في إدخال فنون البديع اللفظية والمعنوية في الأدب العربي صارت أشعاره مصدراً هاماً لتدوين علم البديع.

٢. أدخل الشاعر العادات والتقاليد الإيرانية في الأدب العربي لأنه كان إيراني الأصل؛ منها: المشاورة والتعاون في أمور الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، كما نجد هذه البلورة في الأبيات التالية نموذجاً منه:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمأت وأيّ الناس تصفو مشاربه؟

(بشار بن برد، آ ١٤١٦هـ، ص ١٤٢)

وعن أهمية المشاورة يقول:

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي قوة للقوادم

(السابق، ب ١٤١٦هـ، ص ٥٩٣)

٣. يعتبر بشار أول شاعر مولّد في ذاك العصر، بسبب ذكر حالة معيشة الناس في شعره، واستعمال الألفاظ التي لها معان جديدة، مع اختيار الأوزان والقوافي المعبّرة موسيقياً وعاطفياً دون ضعف، حيث يقول مثلاً:

نور عيني! أصبت عيني بسكب يوم فارقتني على غير ذنب
كيف لم تذكري المواثيق والعهـ ـد وما قلت لي وقلت لصحبي

(السابق، آ ١٤١٦هـ، ص ٢٧٤)

نجد في هذه الأبيات تعبيراً عالياً من الحبّ دون زيادة أو نقص، واستعمال الشاعر (نور عيني) جديد في الحثّ على العاطفة.

الزندیق لغة واصطلاحًا

یقول الفیروز آبادي (١٤١٥هـ):

الزندیق: القائل بالنور و الظلمة، أو من لا یؤمن بالآخرة وبالربوبیة، أو من یُبطن الکفر ویظهر الإیمان، أو هو معرّب «زندین» أي دین المرأة». وفي لسان العرب: الزندیق: هو القائل ببقاء الدهر، فارسي معرّب، وهو بالفارسیة «زند کره» أي یقول بدوام الدهر؛ والزندقة: الضیق؛ وقیل الزندیق منه، لأنه ضیّق علی نفسه (مادة «زندق»).

ویقول الدکتور شوقي ضیف (١٩٩٦م):

کلمة الزندقة لیست عربیة، إنما هي تعریب لمصطلح إیراني [هو زند]، کان یطلقه الفرس علی عمل من یؤوّلون أفستا ـ کتاب زرادشت ـ تأویلاً ینحرف عن ظاهر نصوصه، ومن أجل ذلك نعتوا به دعوة ماني ومن قُتنوا بها من الفرس، حتی شملت هذه الکلمة کل من استظهر نحلة من المجوس، و اتسعت أکثر من ذلك، فشملت کل إلحاد بالدین وکل مجاهرة بالفسق (ص ٧٩).

ویعتقد الدکتور حجتي وزمیله في مقال نشرته *مجلّة کلیة الآداب بجامعة إصفهان* (١٣٨٢هـ. ش):

أن کلمة الزندیق لیس لها مدلول محدّد عند المسلمین، وکان معنی الزرادشتي والمزدکي والمشرك والمرتد والمنافق من أکثر المعاني التي تستعمل هذه الکلمة فیها، وکان بسبب أدائها المعني السلبي تطلق علی کل مخالف في المعتقد، مسلماً کان أو غیر مسلم (ص ٢).

تاریخ الزندقة

یبدأ تاریخ الزندقة منذ أواخر العصر الأموي، وأخذ مدلول الکلمة یتّسع في العصر العباسي في الکوفة. ومن الأسباب التي ساعدت علی ظهور الزندقة هي الواسطة بین المسیحیة والزرادشت (حسن، ١٣٧٣هـ. ش، ص ١٢١). وجدیر بالذکر أن الزندیق صار بمعني الملحد واللادین، ویطلق الزندیك علی من یعمل بأوامر ونواهي کتاب *زند وپازند* ومعرّبه الزندیق (دهخدا، ١٣٧٢هـ. ش، «زندیق»). تطلق هذه الکلمة في العصر العباسي علی الذي یعتنق عقائد وسنن الإیرانیین، ثم علی الذین لهم ولع کثیر بعقائد ماني، ویعتقدون بإله الشر. وصار المراد بهذا اللفظ الاعتقاد بعدم وجود الله تبارك وتعالی، أو الاعتقاد بعدم وحدانیته. ومما لا ریب فیه أن الزنادقة قتلوا علی ید الهادي، لکن من أخطر الاضطرابات الشعبیة التي حدثت من قبل الزنادقة، کانت في زمن الهادي العباسي (١٧٠ ـ ١٦٩هـ) وقیل إنهم أباحوا بعض المحرّمات والآداب الاجتماعیة، وبعدت تعالیمهم من الإسلام (حسن، ١٣٧٣هـ. ش، ص ٦٠).

ولهذا أمر المهدي بقتلهم؛ قیل عن المهدي إنه قال لابنه الهادي:

یا بني! إن صار لك هذا الأمر، فتجرّد لهذه العصابة ـ یعني أصحاب ماني ـ ؛ فإنها فرقة تدعو الناس إلی ظاهر حسن کاجتناب الفواحش والزهد في الدنیا والعمل للآخرة، ثم تُخرجها إلی تحریم اللحم ومسّ الماء الطهور وترك قتل الهوامّ تحرّجاً وتحوّباً، ثم تخرجها من هذه إلی عبادة اثنین أحدهما النور والآخر الظلمة...؛ فارفع فیها الخشب، وجرّد فیها السیف، وتقرّب بأمرها إلی الله لا شریك له؛ فإني رأیت جدك العباس في المنام قلّدني بسیفین وأمرني بقتل أصحاب الاثنین (الطبري، ١٩٣٩م، ص ٤٣٤).

وعرّفت الزندقة بأنها الثنویة المانویة الاعتقاد بأن العالم نشأ عن أصلین، هما النور والظلمة، ولکلّ منهما إلهه الخاص، وأن مصدر العالم امتزاج هذین العنصرین (ضیف، ١٩٩٦م، ص ٨٠ ـ ٨٢).

بشار الزنديق

أطلق الزنديق على بعض الأدباء للعصرين الأموي والعباسي، كصالح بن عبدالقدوس وابن‌المقفع وبشار بن برد وغيرهم، ونجد في كتب كثيرة بأنهم قتلوا بسبب آرائهم المسمّاة بالزندقة؛ فعلى سبيل المثال كتب في أحد التواريخ: «كان بشار شعوبياً زنديقاً يميل إلى التفكير الحر، ويأخذ بالشك والجبر، وكان مع فسقه مرحًا خفيف الروح حلو الحديث» (فروخ، ١٩٨٥م، ص ٩٣). وفي كتب أخرى جاءت عبارات من هذا النوع، وقالوا له عقائد خاصة من زندقة الزرادشت وماني. وقال بشار في وصف الله ـ تعالى ـ بأنه ضرير، و... (حتّي، ١٣٦٣هـ. ش، ص ٥١٩؛ وأبوالفرج الأصفهاني، ب ١٩٩٢م، ص ١٣٥).

ونقل صاحب *الأغاني*، أبوالفرج الأصفهاني (ج ١٩٩٢م) عن الجاحظ بأنه «كان يدين بالرجعة، ويكفّر جميع الأمّة، ويصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

والأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

(ص ١٣٧)

وأنشد:

إبليس خير من أبيكم آدم فتنبّهوا يا معشر الفجّار
إبليس من نار وآدم طينة والأرض لا تسمو سموّ النار

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ٤١٢؛ والجاحظ، د. ت، ص ٣٨)

اتهام بشار

لماذا اتهم بشار بن برد بالزندقة، أوصحيح هذا المدّعى أم لا؟ وهل يمكن التصديق بهذا الموضوع أم لا؟

هذا سؤال مهم يمكن إجابته عقلاً ونقلاً، بأدلة مختلفة نذكرها فيما يلي:

اُتّهم كثير من الأدباء والعلماء الذين يخالفون الخلفاء والوزراء والذين لهم شأن عالٍ عندهم بالزندقة، وشرب الخمر وغيرها؛ منهم ـ كما ذكرنا ـ صالح بن عبدالقدوس من شعراء بغداد، حيث صلبه المهدي لانتسابه إلى الزندقة؛ وابن‌المقفع، الكاتب الإيراني الأصل المشهور بالفصاحة والخطابة، وهو كان يعمل في دواوين الخراج للحجاج، وقُتل في زمن المنصور العباسي بهذا الاتهام بشكل شنيع؛ وبشار بن برد قتل أيضاً بهذا الاتهام، و قُتل هؤلاء بعد مخالفتهم أو عداوتهم للرجال الكبار من الخلفاء والأمراء أو جلسائهم الذين ضغنوا عليهم من قبل، ولم يكن سبب قتلهم الزندقة في الحقيقة والواقع.

نعم، يمكن القول بأنهم كانوا زنديقين من قبل، لكن قتلهم لم يكن بسبب الزندقة، وهذا اتهام لهم لكي يُقتلوا. فنرى أن بشار بن برد قتل بعد هجوه المهدي والرجال الكبار؛ لأنه كان من الشعراء الهجّائين المشهورين، ولم يكن يأبى أن يهجو خليفة أو رجالاً آخرين، وعدّد معايب المنصور؛ ومنها ظهرت في هذه الأبيات:

تجرّدت للإسلام تعفو طريقه وتعري مطاه للّيوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم
فرم وزرًا ينجيك يا ابن سلامةٍ فلست بناج من مضيمٍ وضائم

لحا الله قوماً رأسوك عليهم وما زلت مرؤوسًا خبيث المطائم
أقول لبسّام عليه جلالة جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ٥٠٢)

طعن الشاعر في هذه الأبيات خلافة المنصور، وعابه ظاهرًا، ومدح الهاشميين[١] الذين عدّهم المنصور عدوًّا لحكمه.

وفي شأنٍ آخر أنشد هكذا:

توعّدني أبوخلف وعن أوتاره نامًا
بسيف لأبي صفر ة لا يقطع إبهامًا
كأن الورس يعلوه إذا ما صدره قامًا

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ٥٩٤)

في هذه الأبيات هجا بشار روح بن حاتم ـ و«أبو خلف» كنيته أبيه حاتم، و «أبو صفرة» جدّه ـ الذي كان حاجباً للمنصور العباسي، وولّاه المهدي أيضاً ولاية السند. ثم نقله إلى البصرة، وبعد مدة إلى الكوفة. ولي حكم فلسطين في زمن الرشيد، وبعد مدة حكم القيروان (١٧١هـ)، وتوفّي هنالك. يقال إنه كان متصفاً بالعلم والشجاعة والحزم (الزركلي، ٢٠٠٥م، ص ٣٤).

فبشار هجاه ولم يعتن به من هو، وهو رجل سياسي متنفّذ في الدواوين، ومن الواضح أنه كانت لهجوه عواقب سيئة.

وهجا في أشعار أخرى شخصية سياسية أخرى، هو يعقوب بن داود الكاتب، من أكابر الوزراء ووزير المهدي العباسي:

يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزّقّ والعود

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ١٥٥)

وكما نجد في هذه الأبيات، فقد هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدي. وهجا أيضاً من الرجال غير السياسيين، منهم واصل بن عطا (م. ١٣١هـ)، شيخ المعتزله الذي ولد بالمدينة، وكان خطيباً بليغاً؛ وبما أن لبشار عقائد خاصة تختلف عن آراء واصل، خالفه بشدة وهجاه، وبما أنه شيخ المعتزلة، فقد حرّض الناس عليه وقال فيه:

كيف يبكي لمحبس في طلول من سيفضى لحبس يوم طويلِ

(البستاني، د. ت، ص ٢٦)

وإن كانت له أشعار تدل على الإلحاد والزندقة ـ على زعم الذين قالوا ـ كانت في أوائل عمره، ولكن هذه الأشعار منتحلة؛ بسبب أن الكتب التي سجّلتْها تقول: يمكن أن تكون هذه الأشعار منسوبة إليه؛ كما وجدناها في ديوانه في مكان أنشد أشعاراً في فضيلة النار على التراب، ونحن كتبناها في أول المقالة.

إضافة إلى ذلك إن له أشعاراً في أواخر عمره تدل على إنابته إلى الله تبارك وتعالى، واستغفاره من ذنوبه الماضية في العقائد الدينية. وإن كانت بعض الأشعار المنسوبة إليه أو غير منسوبة شاهد على إلحاده ـ على رأي بعضٍ ـ فبعض آخر يدل على أنه لم يكن ملحداً كما يزعمون؛ كالأبيات التالية:

---

١. أصل البيت الأخير قبل أن يحوّله بشار كان هكذا:

من الهاشميين الدعاة إلى الهدى جهارًا ومن يهديك مثل ابن هاشمِ؟

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ٥٠٢)

أتـوب إليـك مـن الـسيئات وأســتغفر الله مــن فعلــتي
تناولــت مــا لم أُرد نيلــه على جهل أمري وفي سكرتي
ووالله والله مــــا جئتــــه لعمـد ولا كـان مـن همّـتي
وإلا فمــــتّ إذن ضــــائعاً وعــــذّبني الله في ميــــتتي

(بشار، آ ١٤١٦هـ، ص ٤٢٣)

فهذه الأبيات تدلّ على إنابته وتوبته إلى الله، وبما أن الاستغفار تكون عادةً بعد الشباب وريعان العمر، فيمكن إنشادها في أواخر عمره، فأصبح مسلماً بالقطع واليقين. ونستطيع أن نقول أيضاً إن كانت عقوبة الزنديق أو الملحد في ذلك العصر الإعدام، فلماذا لم يعدم في بداية الأمر، ولكن ضربوه سبعين ضربة حتى مات بسبب ضرب السياط؟ وما كانت هذه العقوبة عقوبة حدّ الخمر، فكيف يمكن أن يقال: إن بشار بن برد قتل بسبب الزندقة؟ بل يمكن القول بأنه قتل بسبب تمرّده وهجائه الخليفة وسعاية وزيره وحقده على بشار، حيث يقول للمهدي: «يا أمير المؤمنين! إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك»، وفي آخر الأمر حرّضه على قتله، فأمر الخليفة أن يضربه بالسوط سبعين ضربة حتى مات، ولَمّا ضربه المهدي، بعث إلى داره من يفتّشها، لأنه صار متّهماً بالزندقة، فوُجد في منزله طومارٌ فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم، فذكرت قرابتهم من رسول الله؛ فأمسكت عنهم إجلالاً له، على أني قد قلت فيهم:

يـا أيهـا الراكـب الغـادي لطيتـه لا تطلب الخبز بين الكلب والحوتِ
دينـــار آل ســـليمانٍ ودرهمهـــم كالبابليَّـــيْن[1] حُفّـــا بالعفاريـــتِ
لا يوجـدان ولا يرجـى لقاؤهمـا كمـا سمعـت بهـاروت ومـاروتِ

فلمّا قرأهُ المهدي، بكى وندم على قتله وقال: «لا جزى الله يعقوب بن داود خيرًا! فإنه لَمّا هجاه، لفّق عندي شهوداً على أنه زنديق. فقتلتُه ثم ندمت حين لا يغني الندم» (أبوالفرج الأصفهاني، آ ١٩٩٢م، ص ٢٤٦).

وهذه العبارات أيضاً دليل آخر على أنه اُتّهم بالزندقة، ولكن قتله ما كان بهذا السبب، بل كان بسبب هجوه الخلفاء والوزراء وملامتهم.

الغرض من هذه الشواهد الشعرية التعريف بموقفه من الخلفاء ورجال الحكومة، وكلها لا تدلّ على زندقته بشكل ظاهر في عصر العباسيين، ولو كان عمله شرب الخمر وإشاعة الغناء، فهذا الموضوع يتعلق بالمجون ولا يتعلق بالزندقة، ولوكان شارب الخمر أيضاً، نحن نجد كثيراً من الشعراء الشاربين الخمر؛ كأبي‌نواس وغيرهم من المعروفين والمشهورين بشرب الخمر حيث لم يؤذهم الخلفاء، ويشرب الخلفاء أنفسهم الخمر وكذلك ندماؤهم بشهادة الكتب المعتبرة والروايات المتواترة.

ويقولون: أدّن بشار في حالة السكر من شرب الخمر، ولوكان هذا الادعاء صحيحاً، فهذه جريمة لها حدّ، ولكن لا يكون هذا علة للزندقة فقط؛ لأن الخلفاء كما قلنا كانوا شاربين للخمر، ونحن نجد كثيرًا من أشعار بشار حول الدين ونبي الإسلام على حد أن قالوا بتشيعه (مشايخ فريدني، ١٣٧١هـ. ش، ص ٢٤١).

ومن هذه الأشعار التي تدل على عدم إلحاده وزندقته، بل على اعتقاده بالإسلام بالقطع واليقين ما يلي:

---

١. البابليَّين: هاروت وماروت، وهما ساحران علّما أهل بابل السحر.

أبنـاء ذي التـاج ذو رُعَـينٍ ورهــ ـطُ المـصطفي لـيس فـوقهم بـشرُ
قــوم لهــم تُــشرق الــبلادُ إذا راحــوا ومــدّت علــيهم الحجَــرُ

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ٢٨٧)

أو أنشد:

تُــصرِّف الليــلَ علــى حُكمِهــا فهــو علــى مــا صــرّفتْه قــديرْ

(بشار، ب ١٤١٦هـ، ص ٣٩٨)

النتيجة

لقد تناولت هذه المقالة أهم حادثة في حياة بشار بن برد، وهي مقتله على يد المهدي العباسي. قيل إنه قتل لأنه صار زنديقاً، والزندقة تساوي الإلحاد والكفر، وليس الأمر كذلك في الحقيقة.

فقد أثبتت المقالة بالأدلة المنطقية بأن قتله كان بسبب هجوياته وطعنه على الخلفاء وكبار الدولة، ولهذا حقدوا عليه، وكانوا ينتهزون الفرصة المناسبة للإيقاع به وقتله، وهكذا فعلوا. فقتله بسبب الزندقة والإلحاد اتهام لا أكثر، وهو موحّد في الحقيقة.

❖❖❖

المصادر والمراجع

أ) العربية

١. أبوالفرج الأصفهاني، علي بن الحسين. (آ ١٩٩٢م). ***الأغاني*** (شرح سمير جابر). (ط ٣). (ج ٣). بيروت: دار الكتب العلمية.
٢. ـــــــ. (ب ١٩٩٢م). ***الأغاني*** (شرح سمير جابر). (ط ٣). (ج ٦). بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. ـــــــ. (ج ١٩٩٢م). ***الأغاني*** (شرح سمير جابر). (ط ٣). (ج ٧). بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. البستاني، بطرس. (د. ت). ***منتقيات أدباء العرب في الأعصر العباسية***. بيروت: دار نظير عبود.
٥. بشار بن برد. (آ ١٤١٦هـ). ***ديوان*** (شرح حسين حمومي). (ج ١). بيروت: دار الجيل.
٦. بشار بن برد. (ب ١٤١٦هـ). ***ديوان*** (شرح حسين حمومي). (ج ٢). بيروت: دار الجيل.
٧. الجاحظ، عمرو بن بحر. (د. ت). ***البيان والتبيين*** (تحقيق عبدالسلام هارون). (ج ١). بيروت: دار الجيل.
٨. الزركلي، خيرالدين. (٢٠٠٥م). ***الأعلام*** (ط ٣). (ج ٣). بيروت: دار العلم للملايين.
٩. ضيف، شوقي. (١٩٩٦م). ***تاريخ الأدب العربي*** (ط ١٤). (ج ٣). القاهرة: دار المعارف.
١٠. الطبري، محمد بن جرير. (١٩٣٩م). ***تاريخ الأمم والملوك*** (تصحيح نخبة من العلماء). (ج ٦). القاهرة: دار الاستقامة.
١١. الفاخوري، حنّا. (١٩٨٦م). ***تاريخ الأدب العربي***. بيروت: دار الجيل.
١٢. فروخ، عمر. (١٩٨٥م). ***تاريخ الأدب العربي*** (ط ٥). (ج ٢). بيروت: دار العلم للملايين.
١٣. الفيروزآبادي، مجدالدين. (١٤١٥هـ). ***القاموس المحيط*** (تحقيق يوسف السباعي). بيروت: د. ن.

ب) الفارسية

١٤. حتّی، فیلیب خلیل. (١٣٦٦هـ. ش). ***تاریخ عرب*** (أبوالقاسم پاینده، مترجم). (ط ٢). تهران: آگاه.

١٥. حجتی، سیدمحمدباقر، و بستانی، قاسم. (١٣٨٢هـ. ش). «معناشناسي كلمه زندیق در فرهنگ اسلامي». ***مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه اصفهان***، ٣٢ و ٣٣، ١ ـ ٢٢.

١٦. حسن، إبراهیم حسن. (١٣٧٣هـ. ش). ***تاریخ سیاسي اسلام*** (ابوالقاسم پاینده، مترجم). (ط ٨). (ج ٢). تهران: جاویدان.

١٧. دهخدا، علی أكبر. (١٣٧٢هـ. ش). ***لغت‌نامه*** (ج ٨). تهران: دانشگاه تهران.

١٨. صفا، ذبیح الله. (١٣٦٣هـ. ش). ***تاریخ ادبیات فارسی*** (ط ٦). تهران: فردوسي.

١٩. مشایخ فریدنی، محمدحسین. (١٣٧١هـ. ش). «بشار بن بُرد». در: احمد صدرحاج‌سیدجوادی و كامران فانی و بهاءالدین خرمشاهی (ویراستاران)، ***دائرة المعارف تشیع*** (ج ٣: ب ـ پیكار). (ص ٢٤٠ ـ ٢٤١). تهران: بنیاد خیریه و فرهنگی شط.

٢٠. مطهری، مرتضی. (بي‌تا). ***خدمات متقابل اسلام وایران*** (ج ١). قم: جامعه مدرسین.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی